

زهرة في مستهل الربيع

للاستاذ محمود الخفيف

قد بعثتُ القديم من أحلامي إذ تبسّمت للربيع الجديد
يا ابنة الصبح قد ثكّلتُ غرامي وتأسّيتُ من زمان بعيد
ما لهذا الندى يزيد أوامى ويُثير الجوى بقلبي الشهيد
فيم أحييتُ بابتسامك وجدى يا عروس الربيع رفقاً بقلبي
كيف أصبو إلى جمالك وحدي أى حُسن يخالج اليوم لبي ؟
يتسارى القتاد والزهر عندي وتنامى ماضى العيش حسي
يوجعُ النفس أن ترى اليوم حُسنًا

كان بالأمس من بهيج رواها
تنظرُ العين لا ترى فيك معنى من معاني الجمال إلا شجاها
أغنيات المني تألفن لحناً صارَ للنفس من صميم أساها
صوّرت لي كآبة العيش حولي عند لقاءك كل معنى كئيب
ذائب الهل ليس عندي بطل هو سمع الجفون عند النحيب
وكان الزمان مسك مثلي بالضنى كفه وبالتعذيب

إن هذا النماء يوحى لنفسى صوراً هُمن من نسج الفناء
سوف يطوى بهاؤه حين يمسي يومك الضاحك المديد الضياء
كلما زاد قلّ رونقُ أمسى بالموت رأيتَه في النماء
هكذا يا ابنة الربيع حياتي غير أنى معذب بشعورى
حائر النفس بين ماضٍ وآت غاب في لجة الزمان حبورى

سوف تطوى يد المنية عمرى بعد أن يُطفى الزمان شبابى
للوقت والنحول في الدهر سيزى

لا ترى العين غيرَ لمع السراب
فسواء صبرتُ أم رثتُ صبرى وسواء مرتقى واكتئابى
فيك رمز لكل ما دوفان عابر أن يقيم إلا قليلا
يا عروس الربيع كم من معانٍ فيك زادت غليل قبي غليلا

يا قلبي ما طارقات زمان لم تذّر لي في الكون معنى جميلا
أنت كالعيش فتنة وغرور وأمانى كلها للنفاد
أنت كالحب نشوة وفتور ورؤى تمحى بلا ميعاد
لمع كلهن مئين وزور الليالى لهن بالمرصاد
خيلت لي عيناى صورة أنس برهة ثم خيلت لي ثورا
ورأى القلب فيك موحش رمس

يضحك الزهر فوقه مثورا
لسواء زينت ساحة عرس يا ابنة الصبح أم كسوت القبورا
موتك الباكر المحتم يوحى لفؤادى الموم من كل جنس
كم صبي كالزهر غرض صبح كالرياحين عوده طيب غرس
ناعم كالملك رقة روح موته يوجعُ القلوب ويؤسى

كم فتى في ضحوة العمر ولى مثلاً هت ، نابه عبقري
وعجبا من ضاحك الزهر أحلى قد عمه الفناء قبل الذوى

كنت ألقاك في الربيع فألقى ألف معنى في سحر ذاك الشباب
يعن الحسن عند مرآك عمقاً فأرى الروح من وراء حجاب
وكانى والقاب يسجد خفقا هيكل ليس ينتمى للتراب

ينجلي فيك والزمان نضير ومعاني الربيع تملأ نفسى
أمل ضاحك وعيش غرير وطيوف تثير كامن حسى
كان لي منك في الصباح بشير وأنيس إن غاب طائر أنسى

يا ابنة الصبح كم رأى الصبح منى نظرات المتيم المسحور
من بنات الهديل أقبس لحنى حبذا السجع في صفاء البكور
وسطور الرياض تهر عيني فأملى بوشين سطورى

كان هذا الزمان حلماً تقضى أى حلم خياله لن يزولا
أى حسن يبقى على الأرض غصاً آية الحسن أنه لن يطولا
كم قطعت الرياض طولاً وعرضاً فرأيت النماء ثم الذبولا

يا ابنة الصبح قد ذكرت زمانى حين أومأت في رواء بديع
كل شيء بعثت إلا الأمانى أفلا كنت مثل هذا الربيع ؟

الخفيف